المحاضرة الثانية عشر

النظرية الراديكالية الصراعية (تطبيقاتها السوسيوتربوية- تقييم النظرية)

أهدافها:

- تعريف الطالب بأهم القضايا التي طرها أنصار الاتجاه الراديكالي في معالجة وتحليل القضايا والمشكلات التربوية.

- تقديم تقييم عام للطالب حول النظرية بمشاركته في ذلك لتعويده على انتاج المعرفة وليس استهلاكها فقط.

1- تطبيقاتها السوسيوتربوية:

يستند أنصار الاتجاه الراديكالي في آرائهم إلى القضايا والمشكلات التربوية على بعض الافتراضات التي تتعارض الى حد كبير مع افتراضات الاتجاه الوظيفي البنائي ومنها أن المجتمع يتكون من مجموعة من العناصر والأجزاء وأن الصراع والتنافس هما السمة الأساسية للتفاعل بين هذه العناصر والأجزاء، نظرا لأن المميزات الموجودة في المجتمع محدودة، وكل فئة أو طبقة أو شخص يحاول أن يحصل عليها لنفسه دون الأخرين، ومن ثم فإن التعاون والتكامل بين هذه العناصر والأجزاء ضعيف، وأن التغير الاجتماعي الذي ينتج عن اختلاف هذه العناصر في الأهداف والاهتمامات ينزع إلى أن يكون تغيرا ثوريا جذريا **(جلال غربول السناد، مرجع سابق، ص28).**

وبناءا على ذلك يشير أنصار الاتجاه الراديكالي ومنهم بولز، وجيتنس إلى أن المدرسة مرأة مصغرة للمجتمع الذي توجد فيه، تعكس ما فيه من عناصر إيجابية أو سلبية، ومن ثم فإن وظيفتها في المجتمع الرأسمالي إعداد نوعين من العاملين بمثل النوع الأول الطبقة المالكة، والثاني الطبقة العاملة، وتكون المدرسة ميدانا للصراع الطبقي وذلك بسبب أن هدفها الأساسي هو إعادة إنتاج اللامساواة الاقتصادية، معنى ذلك أنها تعد أبناء الاغنياء للوظائف العليا، وأبناء الفقراء للوظائف الدنيا كما حددها مع أبنائهم **(جلال غربول السناد، مرجع سابق، ص28).**

من أهم المفاهيمالتي أثرتها النظرية النقدية في علم اجتماع التربية مايلي: **(على سيد الشخيبي،محمد حسنين العجمي، 2008 ، ص 58-62):**

- **الصراع:** ويشير إلى أن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في المجتمع قائمة على الصراع بين فئتين: فئة أعلى ويمثلها أصحاب العمل أو رأس المال، والسلطة وفئة أدنى وهي الفئة المحكومة الفقيرة والمغلوبة على أمرها وتمثل غالبية أبناء المجتمع. وستخدم الفئة العليا كلا من القواعد البيروقراطية وتقسيم العمل للسيطرة على الفئة الدنياوتحاول أن تحصل على مكاسب شخصية على حساب تلك الفئة، ومثال على ذلك يحدث داخل حجرة الدارسة مستغلين في ذلك القواعد البيروقراطية وتقسيم العمل، وتطبيق النظام المدرسي ويحدث الصراع عندما يحاول أعضاء الفئة الأعلى تحقيق أغراضهم الشخصية على حساب الأدنى معتمدين في ذلك على سلطتهم ونفوذهم.

- **إعادة الإنتاج (التوالدية):**

ويشير إلى رغبة الفئة المسيطرة صاحبة الثروة والسلطة والقوة في بقاء الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في المجتمع كما هو عليه من طبقية أو ما تستغل لديها من إمكانيات في المؤسسات الاقتصاديةوالاجتماعية والتعليمية لتحقيق هذه الرغبة، أي أن يستمر أبناء الأغنياء أغنياء وأبناء الفقراء فقراء في المستقبل، بمعنى أن يكون الأبن نسخة طبق الأصل تقريبا عن والده، أي أنهم يؤكدون على مبدأ الثبات الاجتماعي أو الحراك الاجتماعي المضمون، والمدرسة واحدة من المؤسسات الرئيسية التي تساعد هذه الفئة في تحقيق أهدافها باعتبارها المؤسسة التربوية الأولى في المجتمع، حيث تعمل جاهدة على تعليم أبناء الاغنياء ذلك النوعوالمستوى من التعليم الذي يساعدهم في الحصول على مكانات ووظائف أباءهم، وفي نفس الوقت تعليم أبناء الفقراء ذلك النوع والمستوى من التعليم الذي يلحقهم بالوظائف المتواضعة لآبائهم، وتعتمد المدرسة في تحقيق ذلك على المناهج والكتب الدراسية والمعلمين...الخ. وبهذا يكون دور النظام التعليمي هو إعادة إنتاج تقسيم العمل وفقا للمستوى الاقتصادي والاجتماعي، أي أن تقوم المؤسسات التربوية بتزويد الذين ينتمون إلى

طبقات اجتماعية مختلفة بقيم وسمات شخصية مناسبة للمكانات والأدوار المستقبلية لهم في البناء الهرمي لتقسيم العمل كل حسب أصوله الاقتصادية والاجتماعية.

- التناقض:

ويقصد به الراديكاليون عدم التطابق بين الأفكار النظرية التي ينادي بها أعضاء الفئة الحاكمة والمسيطرة على هذه الفئة في المجتمع، وما ينتج عنها من لا مساواة واستبدادية وظلم يقع على غالبية أبناء المجتمع من الفقراء الممثلين في العمال والفلاحين وغيرهم.

- اللامساواة:

ويشير إلى أن المجتمع الرأسمالي يسوده عدم المساواة في الحقوق والواجبات، بين أفراده طبقا للمستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتمون إليه، حيث يحصل أبناء المستويات الاقتصادية والاجتماعية العليا على المميزات التي يستحقونها والتي لا يستحقونها في مختلف مؤسسات المجتمع، في حين يحرم أبناء المستويات الاقتصادية والاجتماعية الدنيا من حقوقهم الأساسية في المجتمع.

ويرى أنصار هذه النظرية الراديكالية أن النظام التعليمي يستخدم كأداة لتحقيق التمايز الطبقي وهاجموا استخدام اختبارات الذكاء والتحصيل الدراسي التي تقيس القدرات المعرفية على أنها المحدد الوحيد للنجاح الاقتصادي والاجتماعي للفرد، بمعنى أن الطالب الذي يحصل على درجات أعلى في هذه الاختبارات يحصل على وظيفة ودخل ومكانة اجتماعية أعلى، وهذا ما يراه أنصار الاتجاه الوظيفي البنائي بقيادة كل من جينس 1981و هيرنشتين 1971، وأيزنك 1971.

أما أنصار الاتجاه الراديكالي وخاصة بولز وجينتس فيؤكد على أن العوامل العقلية تلعب دورا ضعيفا في تحديد المستقبل الوظيفي والمادي والاجتماعي للفرد ، حيث إنهناك عواملقد تكون أكثر أهمية منهاالنجاح الاكاديمي في تحقيق ذلك، ومنها العوامل الشخصية غير العقلية والحظ والمحسوبية والرشوة،وأن أعضاءالفئة الأعلى في المجتمع يستخدمون

المدرسة في تحقيق أهدافهم الخاصة، وذلك عن طريق تطبيق اختبارات الذكاء والتحصيل الدراسي المتحيز، والتي تؤكد التمايز الطبقي لمصلحة أبنائهم الذين يحصلون على درجات أعلى تساعدهم في الالتحاق بالكليات العلي في المجتمع،وبالتالي الحصول على وظائف ودخل ومكانات اجتماعيةتتفق مع مكانة هذه الكليات، وذلك على حساب أبناء الطبقات أو الفئات الدنيا الذين غالبا ما يتسربون من المدرسة أو يلتحقون بأنواع متواضعة من التعليم تؤدي بهم إلفى وظائف متواضعة ودخل بسيط ومكانة اجتماعية منخفضة...

- لوم النظام:

في قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع والمشكلات والقضايا التي تنشأ بينهما، يرى أنصار الاتجاه الراديكالي المتأثرون بنظريات التنشئة الاجتماعية التي تركز على أن هناك قوى خارج الفرد تدفعه إلى السلوك المنحرف، إن الخطأ يقع على النظام وليس الفرد في حالة ما إذا حدث مشكل داخل المجتمع، لأن الفرد أوجد النظام كي يقوم بخدمته وتحقيق أهدافه، ومن ثم لابد من تغيير النظام وعلى سبيل المثال إذا فشل مجموعة من تلاميذ مدرسة تقع في منطقة فقيرة فإن تفسير الاتجاه الراديكالي لهذا الفشل هو أن المدرسة كممثلة للمجتمع هي السبب الرئيسي فيه. نظرا لأن المناهج قد تكون غير مرتبطة بحاجاتهم واهتماماتهم التربوية، اختبارات الذكاء والتحصيل الدراسي التي استخدمت للحكم على أراءهم متحيزة ضدهم نظام توزيع الشعب على التلاميذ متحيز، حجرات الدراسة مزدحمة، لا توجد مساواة في توزيع الخدمات التعليمية بين التلاميذ في المدرسة الواحدة، أو بين المدارس المختلفة المعلمون يعاملونهم معاملة سيئة...الخ.

لهذا تنطلق هذه المقاربة من أن العلاقات الاجتماعية هي التي تتحكم في التوجيه المدرسي، وهي التي تساهم في تحقيق النجاح أو تكون وراء الإخفاق الدراسي، ومن ثم فالأصل الاجتماعي عنصر مهم في التحليل السوسيولوجي، لكنه لا يعتبر العنصر الوحيد في فهم الظاهرة التربوية وتفسيرها اجتماعيا، ومن ثم فالمدرسةفي منظور هذه النظرية، مثل آلة لإعادة إنتاج اللامساواة الطبقية والاجتماعية.

وقد طرحت السوسيولوجيا التربوية في سنوات الستين من القرن الماضي سؤال اللامساواة، وكان سؤالا جوهريا، وأسال كثيرا من الحبر إلى يومنا هذا. أما قبل ذلك فكان سؤال التنشئة الاجتماعية وإدماج الفرد في حضن المجتمع مع إميل دوركايم. ومن ثم فسؤال اللامساواة المدرسية نتاج اللامساواة الطبقية والاجتماعية. ومعنى هذا أن المدرسة تعبير عن الفوارق الفردية والطبقية والاجتماعية واللغوية والثقافية.فأبناء الأغنياء والطبقات المرموقة يحصلون على معدلات مرتفعة، ويستفيدون من التعليم الجامعي. في حين يحصل أبناء الطبقات الدنيا على معدلات ضعيفة، ويعانون من فوارق التحصيل والذكاء، ثم لا يستطيعون متابعة دراساتهم الجامعية، فيكتفون بالتوجيه المهني أو التقني. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن المدرسة الرأسمالية الطبقية تعيد لنا إنتاج الورثة بامتيازاتهم الطبقية والاجتماعية. بينما يفتقر أبناء الطبقة العمالية إلى الرأسمال الثقافي الذي يمتلكه أبناء الطبقة البورجوازية. ومن ثم تمارس المدرسة الرأسمالية عنفا رمزيا ضد أبناء الطبقات الكادحة أو المسحوقة اجتماعيا. ومن ثم فوظيفة المدرسة –حسب بيير بوردو وكلود باسرون – هي تحقيق اللامساواة الطبقية والاجتماعية.ومن هنا فالمدرسة ليست محايدة أو موضوعية أو عادلة أو كونية، بل تخدم مصالح الطبقة السائدة أو قيم الفئة المهينة على الحكم ليس إلا.وترى هذه المقاربة أن المدرسة لا تنتقي من هو أكثر ذكاء وقدرة وإنتاجا وإبداعا، بل من هو أكثر مطابقة ومسايرة لتمثلات الفئة الحاكمة. أي تختار من ينفذ تعليمات الطبقة المالكة للسلطة، ويعيد إنتاج قيمها**(جميلحمداوي، ص 86-87)**.

ويعتقد الاتجاه النقدي أن دور المعلمين دورا مركزيا في اعادة الانتاج الاجتماعي أي في ترسيخ الطبقية فالمعلّمون لهم من خبراتهم التربوية الكلية ما يجعلهم متأهبين للعمل من أجل ديمومة نظام القيم الذي يرتكز عليه رأسمالهم الثقافي،لذلك نجد أن المعلمين عموما يعتقدون بقيمة التربية التي يقدمونها للطلاب بحد ذاتها.

كما يؤكد الاتجاه النقدي أن التعليم طريق للهيمنة، وأن هناك علاقة وثيقة بين التعليم والايديولوجيا. ويصل الرأي الشائع عند الدارسين اليوم أن الهيمنة هي المفهوم الشامل للدولة

أي السياسة + الثقافة. اذ أن الدولة كي تعيد انتاجها وتضمن استمرارها وتطور طرق سيطرتها على الجماهير تلجأ الى وسيلتين القمع والإقناع وتفسير ذلك أن الدول المستبدة لا تعتمد فقط على جهازها القمعي المكوّن من البوليس والجيش والتشريعات القهرية بل في خلقها (ثقافة) تضمن اخلاص المواطنين حتى لأهداف متناقضة مع مصالحهم الحقيقية. وهكذا نرى أن الدولة تقوم بدور تربوي خطير وهو ما يمكن أن نسميه بالأهداف الضمنية للتعليم أو المنهج الخفي .بمعناه السلبي التي تحرك لا شعوريا الكثير من المنظمات والأفراد. ويرى مارتن كارنوي أن التعليم بدلا من نشر التعليم استطاع أن "يعقلن مالا يقبله العقل" وبدلا من تنمية الديمقراطية والفكر الناقد لعب التعليم دوره في اسكان الناس والرضا ببنية القوة في مجتمعهم من غير اعتراض، وهذا هو الجانب الاستعماري في التعليم. ولعلنا نتذكر القول المأثور للمربي باولو فريري "التعليم عملية سياسية كما أن السياسة عملية تربوية" ومقولته الأشهر " لا يوجد تعليم محايد فهو إما للقهر وإما للتحرير"

(أحمد جميل حمداوي http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?).

لذا فقد عبر أعضاء الاتجاه الراديكالي في كتاباتهم عن موقفهم المتعصب من المدرسة باعتبارها مؤسسة تابعة للقوى المسيطرة على المجتمع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، تحقق أهدافهم ومصالحهم الشخصية على حساب مصالح بقية أبناء المجتمع، ومن أشهرها كتاب مجتمع بلا مدارس الذي نشره إيفان إيليتش عام 1972، وكتاب التعليم استعمار ثقافي الذي نشره مارتن كارنوى عام 1974، وكتاب التعليم في أمريكا الرأسمالية الذي نشره كل من بولز، وجينتس عام 1976، وقد هاجمت هذه المؤلفات المدرسة مؤسسة اجتماعية تقوم على خدمة الفئة المسيطرة في المجتمع، ومن أنصار هذا الاتجاه أيضا وهاجموا المدرسة بضرورة باولوفيريري حيث نظر إلى المدرسة على أنها كمؤسسة تستخدمها الفئة القاهرة للسيطرة على الفئة المقهورة أبنائهم **(جلال غربول السناد، مرجع سابق، ص31).**

كما"يرى الاتجاه النقدي أن التعليم يعاني من أزمة التبعية،إنها بالطبع تبعية دول الهامش لدول المركز أي تبعية العالم الثالث للدول الرأسمالية، الذي كان له انعكاساته

السلبية على النظم التعليمية، حيث يدور التعليم في دول المركز حول المعارف الإنتاجية بينما نجد التعليم في دول الأطراف التابعة يدور حول المعرفة الاستهلاكية. ولذلك يرى كارنويأن دور الوكالات الدولية في إحداث التغيير في الدول ذات الدخول المنخفضة هو بغرض توجيه هذا التغيير في اتجاهات معينة تتماشى مع مصالح البرجوازية الدولية المتقدمة والبرجوازيات في الدول التابعة نفسها، وهذه التبعية كثيرا ما يصفها اقطاب الفلسفة النقدية الراديكالية بأنها حالة الاغتراب عن الذات التي يعرّفها ايرك فروم بأنها "تلك الحالة التي لا يشعر فيها الإنسان بأنه المالك الحقيقي لثرواته وطاقاته بل يشعر بأنه كائن ضعيف يعتمد كيانه على وجود قوى خارجية لا تمت لذاتيته بصلة."

أحمد جميل حمداوي، مرجع سابق). http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?

وفي نفس المنحى " تظهر إسهامات النظرية النقدية في علم اجتماع التربية من خلال ما يعرف بالبيداغوجيا النقدية، حيث " يتحدث غيروكس عن الإمكانات التي توفرها النظرية النقدية للمفكرين التربويين رغم أنه قد يبدو للوهلة الأولى أن هذه النظرية لا علاقة مباشرة لها بالتربية. ويذكر أن هذه الإمكانات شكلت منطلقات لتربويين كثر منهم رواد البيداغوجيا النقدية في بلورة تصورات نقدية تجاه التربية، ونحن نذكر باختصار أهم أطروحات فرانكفورت الحاملة لقابلية التدوير في حقل التربية من خلال ما ذكرهغيروكس ...تمتد مدرسة فرانكفورت التربويين بعدة مفاهيم ونظريات تساعدهم على النقد النافذ والمستبصر للنظم التعليمية المرتبطة بالمنظور الوظيفي المؤسس على العقلانية الوضعية، فالمدرسة اشتغلت مليا –على الوضعية وهي الخلفية الفلسفية – لمعظم المنظومات التربوية الحالية وقدمت طروحات محكمة حول تاريخها ، خلفياتها، ومساراتها من النشأة إلى أن صارت تتقمص العالم المعاصر **(توم بوتومور، 1980، ص63).**

كما " نظر الاتجاه النقدي الى انسان العالم الثالث بانه الانسان المازوكيالمقهور (المازوكية: الشعور بالدونية واللاجدوى الفردية...). وتبدأ قصة هذا القهر مبكرا مع التدريب

المبكر للطفل في كبت المشاعر التلقائية واستبدالها برغبات مفروضة على الافعال النفسية الاصلية. ويختار فروم مثالا عن المشاعر التي تخص العداوة والكراهية حيث يجري تعليم الطفل على ان يكون لديه مشاعر ليست على الاطلاق مشاعره (هو) وخاصة انه يجري تعليمه ان يحب الناس وان يكون ودودا معهم بشكل غير نقدي. وتنتقل هذه الحالة مع الطفل الى المدرسة المتمثلة في صورة التعليم التلقيني او كما سماه فريري بالتعليم البنكي، وشكل هذا النوع من التعليم القاصر هو ان الطلاب ينحصر دورهم في دور الحفظ والتذكر واعادة الجمل التي سمعوها دون ان يتعمقوا مضمونها. وكلما كان المعلم قادرا على اداء اسلوب التعليم البنكي كان ذلك دليلا على كفاءته. وهكذا أصبح التعليم ضربا من الايداع تحوّل الطلاب فيه الى بنوك يقوم الاساتذة بدور المودعين. ثم هناك حلقة اخرى من حلقات القهر الذي يمارس على مختلف المستويات في حياة الانسان المتخلف فمن حيث المستويات فان المواد الدراسية تظل اجمالا غريبة عن الإطار الحياتي للتلميذ. انه يتعلم عموما اما محتويات دراسية مستوردة من خارج المجتمع (نظريات وعلوم الغرب مطبّقة على ظواهره) في المراحل العليا واما مواد لا تمت الى واقع التلميذ من الفئات الشعبية في المراحل الابتدائية والمتوسطة، فمعظم المناهج التي تعالج تنتمي الى حياة الطبقة المسيطرة وتغرس في نفس الطفل المثل العليا السائدة لهذه الطبقية والتي لا يمكنه عمليا وواقعيا ممارستها في حياته اليومية

2-تقييم النظرية:

تعد الحركة الراديكالية أو حركة تحرير علم الاجتماع والتي تفرع عنها اليسار الجديد بمثابة ظاهرة عالمية، انتشرت في العالم اليوم كحركة اجتماعية لها مجموعة متباينة من الاتجاهات السياسية وتستند الى مجموعة من الأبنية السفلية والمسلمات السائدة في ذلك الوقت، وترتبط بالتغيرات والأحداث التي طرأتعلى البناء الثقافي والاجتماعي للمجتمع، وتؤكد قيم المساواة والحرية الجماعية والديمقراطية والكرامة والابتكار، وتعادي كل ما يحط من شأن القيم الإنسانية وحرية المجتمع، وتتطلع الى العلاقات الانسانية الدافئة، بدلا من النظام

الرشيد في المهن والمنشآت البيروقراطية ويحدوها الأكمل في بناء مجتمع جديد، وإذا كانت هذه الحركة قد ارتبطت بفكر ماركس الشاب، فإنها رفضت الجانب السياسي في الماركسية التاريخية، وبدلا من أن تستمد تأييدها من الطبقة العاملة، استمدته من نمو الدولة الرفاهية، ومن فئات اجتماعية مثل الطلاب والسود والمغتربين وبعض الأغنياء والفنانين وغيرهم من الفئات التي تنادي بالتغير الاجتماعي وتهتم بنقد الاوضاع الداخلية والسياسات القومية الخارجية والرسمية، والسلطة والتدرج والامتثال للقيم **(على عبد الرزاق جبلي، مرجع سابق،ص136).**

وبالرغم من الاسهامات التي قدمتها في إثراء البحث السوسيولوجي إلا أنها قدمت لها الكثير من الانتقادات من أهمها:

–أدلجة الصراع الطبقي: فالصراع بين الحق والباطل قائم منذ خلق الانسان، لكن مفهوم الصراع والتناقض في المجتمع في الاتجاه النقدي أصبح مفهوما إيديولوجيا لا يمكن التخلي عنه.

– رأت أن النظام وضع لخدمة الفرد وبالتالي هي ترى أن أي خلل بين النظام والفرد فان الخطأ يرجع الى النظام ووسائل تطبيقه، وهذا تعميم خاطئ غير مسؤول، فصحيح أن الناس على دين ملوكهم ولكن في نفس الوقت إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

– رأت أن التعليم أحد أجهزة الدولة،إلا أننا نجد أن التعليم يتمتع أحيانا بقدر من الاستقلالية بحيث يتاح له أن يساهم في تشكيل وعي الأجيال الجديدة بصورة معاكسة لما ترسمه الدولة من خطط وسياساتآفاق الاتجاه النقدي في عصر العولمة(أحمدجميل حمدان، مرجع سابق التمدن)